Kierkegaard's concept of anxiety

Dr. Ghassan Alaeddin [*]
Baidaa barud [**]

(Received 15 / 4 / 2023. Accepted 5 / 6 / 2023)

□ ABSTRACT □

This study aimed to identify the concept of anxiety as expressed by the existential philosopher Kierkegaard in the context of his various philosophical works on the one hand, and on the other hand, it aims to trace the evolutionary context through which this concept was defined within the framework of a number of existential stages that were represented in three stages. The basic ones are the aesthetic stage, the moral stage, and the religious stage, in which the concept of anxiety was manifested in each of them in line with the characteristics and features that each stage bore.

We also seek, in this study, to find some of the justifications that led Kierkegaard to make this concept more flowery and open in the religious stage, where the individual finds himself in front of quite a few possibilities and options that enable him to achieve his freedom in existence, which makes him live the true faith, which will not hinder It is for the self to assimilate it without living the productive positive concern that is part of the nature of existence itself..

Keywords: truth, despair, anxiety, subjectivity.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Professor - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University.**
[**] **Postgraduate Student - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University.**

مفهوم القلق عند كيركجارد

د. غسان علاء الدين•

بيداء بارود •*

(تاريخ الإيداع 15 / 4 / 2023. قبل للنشر في 5 / 6 / 2023)

□ ملخّص □

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على مفهوم القلق كما عبر عنه الفيلسوف الوجودي كيركجارد في سياق أعماله الفلسفية المتنوعة من جهة أولى، كما تهدف من جهة ثانية، إلى تتبّع السياق التطوري الذي تعيّن من خلاله ذلك المفهوم في إطار عدد من المراحل الوجودية التي تمثّلت في ثلاثة مراحل أساسية هي: المرحلة الجمالية والمرحلة الأخلاقية والمرحلة الدينية، والتي كان يتبدّى مفهوم القلق في كل واحدة منها بما يتماشى مع الخصائص والسمات التي تحملها كل مرحلة.

كما نسعى في هذه الدراسة ايضا لتلمس بعض المبررات التي افضت بكيركجارد لكي يجعل هذا المفهوم أكثر ازهارا وتفتحا في المرحلة الدينية حيث يجد الفرد نفسه أمام عدد غير قليل من الإمكانات والخيارات التي تهيأ له أن يحقق حريته في الوجود بما يجعله يعيش الإيمان الحق، الذي لن يقيض للذات أن تتمثله من غير أن تحيا القلق الإيجابي المنتج الذي هو جزء من طبيعة الوجود نفسها.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، اليأس، القلق، الذاتية.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

• أستاذ -قسم الفلسفة-كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

•* طالبة دراسات عليا(ماجستير)-قسم الفلسفة -كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

مقدمة

من المتعذر بالنسبة للباحث أن يتعمق في فهم المفاهيم، أو المقولات التي تنضوي تحت ما يسمى الفلسفة الوجودية التي أبدعها رهط من الفلاسفة الذين يمثلون وجهات نظر متنوعة في إطار تلك الفلسفة التي تنشغل بدراسة الواقع المعاش وتلمس مقولاته الأساسية، مالم يضع نفسه في قلب الوجود على قدر استطاعته وذلك من أن يتقمّص روح الفلسفات الوجودية التي تقطع مع الفلسفات المثالية التي ترى أن الفكر أسبق من الواقع ومتقدم عليه، على خلاف ما تقول به الوجودية التي ترد كل مفاهيمها ومقولاتها إلى المعايشة التي تختزن كل تفاصيل الواقع وجزئياته.

ولذلك فإننا نجد لزاما علينا، وقبل الحديث عن مفهوم القلق عند كيركجارد، الذي يعد واحداً من أهم ممثلي الفلسفة الوجودية، والذي أرسى جملة من المفاهيم التي قامت عليها فلسفته بمجملها، والتي قد تبدو للمتتبع لها للوهلة الأولى أنها مفاهيم أقرب إلى علم النفس منها إلى الفلسفة لأن دلالاتها ربما تشير إلى ارتباطها بالذات الفردية التي تتألم وتعاني أكثر من ارتباطها بالذات التي تعيش الوجود وتتعايش مع العالم وتقف في مواجهة أسئلة مصيرية كبرى تتحدد بناء على إجاباتها الطريقة التي تحيا بمقتضاها هذه الذات، ولكن تلك المفاهيم بعامة، ومفهوم القلق بشكل خاص هي أبعد ما تكون عن علم النفس لأن فيلسوفنا قد أزاح دلالاتها ومعانيها من المستوى النفسي إلى المستوى الفلسفي، وأعطاها أبعادا أخرى تتفق مع الفلسفة الوجودية التي أرسى مبادئها وأقام بنيانها.

وعليه فإننا في هذا البحث سنناقش مفهوما مركزيا بالنسبة لكيركجارد، هو مفهوم القلق، أو حالة القلق التي تتلبث الذات في أغلب المراحل التي تحياها، حتى وإن تشابهت مع بعض الحالات الأخرى ، كالتأمل واليأس، التي ربما يتعذر الفصل فيما بينها نظرا لتداخل حدود كل مفهوم أو حالة مع المفاهيم والحالات الأخرى بحيث نجد أن كل واحد منها يضطلع بأداء وظيفة معينة لا تختلف كثيرا عن تلك التي تؤديها بقية المفاهيم الأخرى ، وما ذلك في نظرنا إلا لأن كل مفهوم يستنفد ذاته في مرحلة ما ويفض ذاتها، ولكن لا لكي يتلاشى ويختفي ولكن من أجل أن يسهم في ولادة مفهوم جديد يكون بمقدوره أن يعبر عن روح المرحلة الجديدة التي يتعين فيها أفعالاً وممارسات.

أهمية البحث وأهدافه

يهدف البحث بشكل رئيس إلى الإضاءة على مفهوم القلق عند كيركجارد الذي يعد مفهوما ناظما لفلسفته كلها، لأن ذلك المفهوم هو جزء أساسي من طبيعة الوجود ذاته، ولذلك لا يمكن النظر إلى القلق بهذا المعنى بوصفه معادياً للروح الإنسانية ومناقضا لجوهرها، وإنما هو على العكس مكونا رئيساً لها، لأنه من غير الشعور بالقلق وعيشه سنكون خارج الوجود حتى لو ظننا أنفسنا داخله.

فأهمية البحث تكمن في أنه يدفع بنا لأن نكتشف دلالات جديدة لمفهوم القلق الذي طالما اعتقدنا أنه مفهوم سلبي ولذلك يتوجب الشفاء منه إن كان ثمة سبيل لفعل ذلك، ولكننا اكتشفنا أن هذا المفهوم الذي يتطابق مع حالة تعبر عنه، هو مفهوم إيجابي ولذلك علينا أن نقبله ونتعايش معه لأنه هو وحده الذي يحقق لنا المصالحة مع الواقع العبثي الذي نحيا فيه.

منهجيَّة البحث:

في سعينا لإنجاز هذا البحث وجدنا أنه من المناسب أن نستخدم المنهج التاريخي خلال عرضنا لمفهوم القلق الذي هو موضع بحثنا، علّنا نتوقف على تحولاته الدلالية التي تتبدّى في كل مرحلة تتعين فيها بأشكال مختلفة. كما أننا

سنستخدم منهج النقد الفلسفي لنعاين ذلك المفهوم الكيركجاردي ونكشف عن الوظائف التي أناطها فيلسوفنا به، عسانا نلتقط بعض الإشارات التي تفيدنا في معرفة بعض المبررات الشخصية التي دفعت بكيركجارد لكي يفرد صفحات مطولة في كتبه عن ذلك المفهوم.

النتائج والمناقشة:

مفهوم القلق الذي سنعرض له في بحثنا هو مفهوم متبدّل ومتحوّل يتلبّث معاني متغايرة بحسب السياق الوجودي الذي يفصح عن نفسه فيه، أي انه يستمدّ بعض سماته وخصائصه من المرحلة التي يتعين في خضمها، ومن هنا فإنه يتشابه مع اليأس في بعض التقاطعات حيناً، ولكنه سرعان ما يختلف عن ذلك المفهوم حين يكون ثمة موجبات لذلك، أي حين يريد له كيركجارد أن يأخذ المعنى الوجودي العميق الذي ينفتح على معاني وحيثيات جديدة تومئ إلى طبيعة الوجود عينها، تلك التي تكشف بما لا مراء فيه أن القلق سمة أساسية للوجود، ولذلك لا خوف علينا من القلق ، وإنما يتوجب أنّ نخاف عندما لا نقلق لأننا نكون إذ ذاك نعيش الوجود الساذج والتافه الذي يرفضه كيركجارد ويهيب بنا أن نعاين الوجود الأصيل ونحياه من أجل أن نصبح أنفسنا ولا شيء غير ذلك ، عند ذلك فقط نكون في دوحة الاختيار والحرية وتعدد الإمكانات التي تدفع بنا لنكون في حضرة الله بوصفنا نتمثل الإيمان الحق الذي لا يتحقق بالنسبة لكيركجارد مالم نتمثل مسيحية المسيح على أكمل وجه ، ومن هنا يأتي قوله: نحن لسنا مسيحيين، ولكننا نصير كذلك.

1- ذاتية الحقيقة عند كيركجارد:

إن دراسة المفاهيم التي تسم الفلسفة الوجودية على اختلاف وتنوع مشارب الفلاسفة الذين ينتمون إليها، لا بد أن ترد الباحث فيها والمتتبع لأصولها إلى الخلف للوقوف على ما يسمى في الوجودية موضوعة الحقيقة التي تنقسم إلى حقيقتين؛ واحدة خارجية، والثانية داخلية، وبمجرد أن نحدد أي من الحقيقتين سيكون متاحاً لنا أن نتعرّف على صورة الفلسفة التي نكون إزاءها. فالحقيقة بالنسبة للفلسفة الوجودية إذا **<< ليست ظاهرة خارجية، بل هي على الضد –ظاهرة داخلية، لأنها ترتبط ارتباطا وثيقاً بذات موجودة، وتعنيها في وجودها، وهي في هذا لا تنفي الموضوع، بل تستند عليه من حيث هو مركز شك حتى يحول الشك الموضوعي يقيناً ذاتياً >>** (ميخائيل، 1982، ص478)، أي أن الدور الذي تلعبه الذات هاهنا هام للغاية، لأن كل معرفة إنما تبدأ من الذات وتنتهي إليها من دون نكران أن تلك الذات هي التي تحيل الحقائق الموضوعية الخارجية إلى موضوع بين يدي الذات تشك فيه وتحيله من ثم إلى معرفة خاضعة لها.

بمعنى آخر أن الفلسفة الوجودية هي فلسفة للذات، والحقيقة عندها هي حقيقة ذاتية بالضرورة، وهكذا هو الأمر عند الفيلسوف الوجودي كيركجارد الذي بذّ أقرانه من الوجوديين في التأكيد على مكانة الذاتية والحقيقة التي تستمد منها، وقد تجسدت تلك الذاتية في أكمل صورها في المسيحية الحقة التي كان يتمنى كيركجارد لو كان بمقدوره أن يعيشها بالفعل مع أنه ينتمي إلى الدين المسيحي بالولادة. ففيلسوفنا يعلم أن ثمة فارق كبير بين المسيحية التي ينتمي إليها المسيحي وبين **<<المسيحية بوصفها طريق حياة، والتي إذا قبلناها كمجرد طقوس فإننا بذلك نحيلها إلى عبث. إن المنهج الذاتي يشير دائما إلى علاقة تربط بين العقيدة وبين الحياة وبين الفعل، لكي نعطي للعقيدة حقيقتها فإن هذا المنهج يحتوينا كأشخاص إذ يجب علينا أن نكون على استعداد لأن نجد أنفسنا فيما نعتقده وأن نفهم معنى العقيدة خلال خبرتنا الذاتية التي نمر بها >>** (يوسف، 2001، ص31).

وهذا التناقض الصارخ في حياة كيركجارد، والتي تتأرجح بين ممارسة الطقوس المسيحية وبين تلك التي جسدها المسيح بمعاناته وآلامه، هو الذي قاد فيلسوفنا ربما لاعتناق فلسفة الذات والتأسيس لجملة من المفاهيم الخاصة بها كمفهوم التهكم واليأس والقلق، التي تدخل في صلب الفلسفة الوجودية التي أجاد كيركجارد في إنتاجها في سياق المعايشة والمعاناة وعبر مراحل ثلاثة بدأها بالمرحلة الحسية أو الجمالية وتاليا المرحلة الأخلاقية وصولا إلى المرحلة الدينية التي يتجسد فيها الإيمان في أتم صورة عندما يضع الفرد نفسه في حضرة الله بوصفه مشاركا في الذنب والخطيئة. والخطيئة هنا كما يعتقد كيركجارد تكمن في اليأس والضعف الكبير الذي يلحق الذات يقول كيركجارد: **<< الخطيئة أمام الإله أو بتصوّر الإله، هي في اليأس حيث لا تريد أن تكون نفسك أو في اليأس حيث تريد أن تكون نفسك، من ثم الخطيئة هي الضخم المضخم: الخطيئة هي تضخيم اليأس، والتوكيد هنا على فكرة التواجد أمام الإله أو في وجود مفهوم الإله، فمفهوم الإله هو الذي يجعل من الخطيئة سواء جدليًّا أو أخلاقيًّا أو دينيًّا ما يدعوه المحامون اليأس المربك>>** (طيرشي، 2021، ص107).

فالحقيقة بهذا المعنى ليست شيئاً غير المفارقة التي تفصح عن نفسها في خضم المرحلة الدينية بأعلى مقاماتها وصورها من دون أن يعني ذلك أنه تغيب أو تتلاشى في المراحل التي تسبق المرحلة الدينية ، كالجمالية والأخلاقية، إنها توجد في تلك المرحل وتعيّن نفسها بطريقة تتوافق مع طبيعة تلك المراحل، ففي المرحلة الأولى تكون الحقيقة ملتبسة وغامضة ويكون الفرد الذي يبحث عنها متردد ضائعا لأنه يكون غارقا في متاهات اللذة والمتع الحسية، في حين يشتد ساعد الحقيقة هذه عندما تنتقل إلى المرحلة الأخلاقية التي يصبح فيها الفرد أمام مفهوم الواجب الأخلاقي الذي يدفع به لكي يلتزم بالكثير من المسائل التي كان يرفض قبوها والتعامل معها عندما كان يعيش في أحضان المرحلة السابقة. فالإنسان الذي يرتقي من درجة دنيا إلى درجة عليا تحوز رتبة معرفية وقيمية أسمى، والذي يكتشف أنه كلما ترقى في سلم القيم من خلال ما يسميه كيركجارد القفزة الوجودية كلما حقق ذاته على خير وجه، وهو يفعل ذلك باعتباره إنسانا فاعلاً وحرا يختار نفسه ولا شيء غير نفسه، أي يصبح الإنسان مسيحياً ولا شيء غير ذلك وهذا لن يتم في نظر كيركجارد إذا لم يشعر الانسان **<< بعدم الراحة وعدم إيجاد سلام فكري، وعدم الشعور بالأسى وبالندم، حيث يقف الإنسان خلالها أمام الله في عزلة>>** (هبين، 2011، ص62).

وهذه السلسة من المعاناة والألم التي يتوجّب أن يقوم بها الانسان ليحقق ذاته، ويعيش مسيحيته لا بل ليمارس وجودة بالمعنى الحقيقي الذي يقصد إليه كيركجورد، لن يقيض له مالم يمتلك ذاتاً **<< مجاهدة لا متناهية، وهذا يعني أنه صيرورة دائمة هدفها وأمنيتها تحقيق اللامتناهي ولذ يكمن في قلب الذات القلق والسلبية فما الوجود إلا ذلك الطفل الناجم عن اللانهائي والنهائي، عن السرمدي والزمني>>** (ميخائيل، 1982، ص486).

أي أن العالم بكل وقائعه وجزئياته وبكل غناه وفرادته هو أشبه ما يكون بطفل مشاكس لا يعرف حدود الأشياء وإنما ينتقل من حال إلى حال بشكل عشوائي، بحيث يصعب لديه الفصل بين ما يجب أن يفعله وبين ما يجب أن لا يفعله، وهكذا هي حال الذات الكيركجاردية التي تبقى عالقة على الدوام بين المتناهي الذي يهبها حضورها وسماتها ، وبين اللامتناهي التي تنشده من غير أن يكون بمقدورها أن تصل إليه ، وما ذلك إلا بسبب عدم مقدرتها على البقاء على حال معينة، لأنها ببساطة تحيا القلق والمفارقة بشكل دائم، وهذه الحالة هي جزء أساسي من بنية الذات عند كيركجارد، لأن حقيقتها ذاتية لا موضوعية على اعتبار أن الولع مصاحب لها ويكاد لا يفارقها على الإطلاق، ولأن ولعها بتحقيق ما تصبو إليه سيقودها إلى مواضع لا تتحقق فيها رغائبها وأمنياتها فإنها تجد نفسه مترددة وقلقة بين مواقف وجودية متنوعة تتباين بحسب المرحلة التي تحل فيها وتتعين من خلالها، وهذا التباين هو الذي يترك الفرد في حيرة من أمره ،

فهل ما قام به من أفعال وممارسات في المرحلة الحسية ، والتي غرق فيها في موبقات جسده وترك الحبل على الغارب لشهواته هو الذي سيحقق له أن يكون ذاته فعلاً، أم أن المطلوب منه أن يقفز إلى مرحلة وجودية مغايرة وأعلى مرتبة من الأولى بحيث تتحقق له الغاية التي يقصد إليه ؟ إن هذا الصراع المستمر، بين دافعين للفعل هو الذي يورثه القلق، وهو الذي يتركه يعيش حالة صراع لا تنتهي. وهي الحالة الوجودية التي ورثها كيركجارد، فأصابه **<< ما أصاب السميك من شوكة في اللحم وعلى أثره أقفل صدفه، وانطوى على نفسه وصاح بسره المكتوم >>** (ميخائيل، 1982، ص262).

وهذا السر الذي يعاني منه كيركجارد، بحيث يبقى كالشوكة في جسده المدمى، لأنه لا يستطيع أن يتعاطى مع الخارج في ذات الوقت الذي لن يتمكن من البقاء في داخل قوقعته يعاني الآلام، لذلك يجد نفسه بين هنا وهناك، بين الداخل والخارج، وما هذا الموقف الذي يجد فيه الوجودي نفسه على الدوام إلا لازمة من لوازم القلق الذي يستبد فيه، ولما كان الأمر على هذه الحالة وملازم للذات الإنسانية مادامت تعيش الوجود وتعانيه، فإن فيلسوفنا ينقل مفهوم القلق من سياقه النفسي السلبي إلى سياقه الوجودي، فالقلق يضحى هاهنا حالة صحية بالنسبة للفرد لأنه يدفعه لكي يتعاطف مع الأشياء في الوقت الذي ينفر منها، وينفر منها في الوقت الذي يكون متعاطفا معها، أنه يعيش حالة ال(أما/أو) التي تتأسّس عليها فلسفته بجملتها. ومن هنا يأتي التعريف الدقيق للقلق عند كيركجارد بأنه: **<< نفور مع تعاطف، وتعاطف مع نفور>>** (عبد الفتاح، 1986، ص15).

ويظهر لنا أن هذا التعريف الكيركجاردي للقلق يتصل بطرفين على التوالي، واحد حسي والآخر روحي، وفي كلا الطرفين نعاني القلق ونعيشه، ولكننا نعيشه بطريقة مغايرة في كل مرحلة نمر فيها، ففي الحالة الأولى نخاف من أن نكون قد أوغلنا في شهوات الجسد وموبقاته فيتملكنا خوف من إمكانية ما إذا كان بمستطاعنا أن نخرج من تلك الحالة ونتجاوزها، وفي الحالة الثانية يسيطر علينا قلق وجودي من جنس آخر يتصل بعلاقتنا بالعالم الذي يسوده العبث الذي لا طائل منه ولا إمكانية فعلية للخروج منه، فإذا كان الحال على هذا النحو فلابأس في نظر كيركجارد من أن نحيا القلق الإيجابي الذي يدفعنا لا لأن نتقبل عبثية الوجود فحسب، بل لأن نحياه فعلا من خلال التعاطف معه والارتماء في أحضانه كما كان يقول هيدجر.

وكأن القلق في السياق الوجودي ليس إلا استتباعا لمنهج التهكم الذي أعلى كيركجارد من شأنه، لا بالنسبة لذات الفرد نفسه بل بالنسبة للذوات الأخرى أيضا كما فعل الفيلسوف اليوناني سقراط الذي كان يعمل على تحريض الذات التي يتحاور معها حول أمر معين، ويدفعها لكي تكتشف جهلها وتعيد ترتيب معارفها بما يتوافق مع تسلسل الطرح السقراطي الذي كان صاحبه يستخدم منهج التوليد لاستنطاق الذات بما هو موجود في أعماقها والتي تكون جاهلة به. وهكذا هو حال فيلسوفنا الذي استخدم منهج التهكم في المرحلة الحسية لينتقل من ثم في المرحلة الأخلاقية اللاحقة إلى استخدام مفهوم اليأس الذي يعاني منه الفرد نتيجة للصدمات الوجودية التي تواجهه فيشعر إذ ذاك أنه لا يملك سبيلا للخروج منها مالم يعد اليأس بحد ذاته جزء من طبيعة الوجود عينه، كما هو حال القلق الذي سيظهر بشكل جلي في المرحلة الدينية التي يصير فيها الفرد في حضرة الله، ويكتشف أن خلاصة يكمن في قبوله الواقع العبثي الذي وجد نفسه فيه، وعندها فقط يحقق وجوده الكامل ويكون نفسه التي كانت مغتربة وممزقة بين الحيرة والتردد.

أي أن القلق في هذا المنحى الكيركجاردي عام وشامل، فهو يشبه **<< اليأس في بعض النواحي، لكن اليأس يرتبط بالفشل والإحباط، وهو نتيجة لهما، سواء أكان الموضوع هو الخطيئة أم تناقض المفارقة والمحال بوصفهما هزيمة للعقل، أما القلق، فإنه يسبق الخطيئة ويرتبط بالإمكان والحرية، فهو ينشأ من نفس إمكان الحرية ذاتها، وإنه الحالة**

التي تسبق الخطيئة وتقترب منها بقدر المستطاع، وإن كانت لا تفسر الخطيئة التي لا تنشأ إلا بقفزة كيفية>> (كيركجارد، 1984، ص41).

فكل مفهوم هاهنا يتلبث حالة وجودية معينة، ولذلك تختلف خصائص كل واحد من تلك المفاهيم بما يتناسب مع طبيعة المشكلات التي ينبري للإفصاح عن ذاته في أهابها. فإذا كان اليأس محصلة لشعور الفرد بالإحباط والفشل لأنه لم يستطع أن يحل مفارقة العالم التي تكمن في التناقض بين ما تريده تلك الذات وتتوق إلى فعله، وبين ما تستطيع أن تفعله بالواقع فعلاً، فإن اكتشاف البون الشاسع بين الحالتين يصيبها بمرض اليأس. ولكنه مرض لم يكن ليظهر وفق هذه الصورة في خضم الصراعات التي تعيشها الذات الإنسانية لو لم تكن الأخيرة تعيش في عالم الوجود المادي الذي يسوده الظلم وتنتشر فيه القبائح ويشعر فيه الفرد باليأس الذي هو**<< مرض في الروح، مرض في النفس، لذا يمكنه أن يفترض صيغة ثلاثية: عند اليأس لا تعي ولا تشعر بوجود النفس، أو عند اليأس بألا ترغب في أن تكون نفسك، أو عند اليأس تختار أن تكون نفسك>>** (كيركجارد، 2003، ص44).

إن من يقرأ هذه المعاني الثلاثة التي يعرّف بها كيركجارد حالة اليأس يكتشف أن هناك دلالات متنافرة للفهم الذي يقدمه عن الموضوع ذاته، ففي الحالة الأولى وحين يسيطر اليأس على النفس فإنها لا تشعر ولا تعي بوجودها أصلاً، وربما كانت هذه أبسط الحالات التي تصيب الذات من جهة أن صاحبها لا يمتلك العمق الحياتي والمعرفي اللازم ليفكك مفهوم اليأس ويعرف اللحظة التي يصاب بها

أما في الحالة الثانية: فكأننا أم حالة وجودية تتعاطى فيها مع اليأس بطريقة جديدة، لأن النفس هاهنا تكون في حالة وعي بيأسها وبسيطرته عليها، ولكنها تتمنّى أو ترغب أن تكون غير نفسها. وهذا يدل على أن صاحب النفس هنا لا يعرف ما هي الحالة التي يفترض أن تكون عليها نفسه، ولذلك لا يجد خيراً من أن يبحث عن حضور خارج نفسه.

أما في الحالة الثالثة: حين تختار النفس أن تكون نفسها، ويختار صاحبها أن يكون ذاته، فهنا نكون في مواجهة حالة وجودية يعرف صاحبها الحالة التي يتوجب أن تكون عليها النفس من أجل التغلب على حالة اليأس التي تسيطر عليها، بل ربما تسيطر عليها وتدفع بها إلى حالة لا تختار غير نفسها.

أي أن اليأس ليس إلا حالة وجودية سابقة للقلق، التي حتى وإن ظهرت بدرجة أو بأخرى في المرحلتين الجمالية والأخلاقية حيث يعيش الفرد تناقضات كثيرة يصعب تجاوزها وحلها، إلا أنه –أي القلق– سيطل برأسه بشكل قوي في المرحلة الدينية التي يعدها كيركجارد هي المرحلة الحاسمة بالنسبة للذات لكي تتعوّد مشكلاتها وتآلفها، لأنه ليس أمامها إلا أن تتلبّث حالة قلقها وتحبها إن جاز هذا القول، وهي لن تفعل ذلك إلا عبر ما يسميه كيركجارد الفعل، أو الممارسة، **<< فمن يعمل هو وحده الذي يحصل على الخبز، وأن من يحيا في القلق هو وحده الذي يجد الراحة، وأن من يهبط إلى العالم السفلي هو وحده الذي ينقذ المحبوب، وأن من يشهر السكين هو وحده الذي ينقذ إسحق، ومن لا يعمل لا يحصل على الخبز، بل يبقى مخدوعاً>>** (كيركجارد، 1984، ص41). فبإمكان الفرد كما يرى كيركجارد أن يظل بمنأى عن القلق إذا حيّد نفسه عن الفعل والممارسة، لأن الذين يزجون بأنفسهم في قلب الممارسة هم وحدهم الذين يشعرون بالقلق ويعانون منه، لأنهم سيجدون أنفسهم عندئذ في مواجهة القضايا الوجودية الكبرى، من خلال التفكير بها ومحاولة تقديم بعض الإجابات لها.

واللافت بالنسبة لكيركجارد إنه في الوقت الذي يقول فيه أن من لا يعمل لا يحصل على الخبز، والمقصود هنا أن من لا يعمل لا يمكن أن يواجه القلق، فإنه في ذات الوقت يقول وكأنه يناقض نفسه، عندما يتحدث عن عالم الظاهر الذي نغرق فيه، أنه **<< خاضع لقانون النقص، الذي تتكرر فيه حيناً بعد حين تلك التجربة التي نرى فيها أن من لا يعمل**

يحصل أيضاً على الخبز، بل أن من ينام يحصل عليه أكثر من الرجل الكادح. وكل ما في الظاهر مربح لصاحبه، فهذا العالم أسير لقانون عدم الاكتراث، أو قانون استواء الطرفين>> (كيركجارد، 1984، ص41).

أي أن المرحلة الأولى من حياة الإنسان تتسم بالبراءة، على الرغم مما يحيط بها من أفعال لا يمكن للإنسان في المراحل الوجودية اللاحقة أن يكون راضياً عنها، ولكن بالنسبة لكيركجارد، ليس ثمة مشكلة فيما يمر به الإنسان في مقتبل حياته مادام لن يتسنى له حينها أن يكون مسيحياً حقا، ولا يمكن له أن يفعل ذلك حتى لو أرد ذلك، نظرا لانغماس الفرد في الشهوات الحسية. فالتقرب من الله لا يكون إلا انطلاقاً من المرحلة الأخلاقية وصولاً إلى ذروة الحضور أمام الله عندما تكون الذات قد دخلت في دائرة المرحلة الدينية حيث الإيمان الحق. **<< فالوجود هو حالة من الترقب القلق الذي يمكن مقارنته بتجربة المسيح في الجسمانية التي هي مثال نهائي لها، إن القفزة إلى الإيمان غير مألوفة ستعطي الإنسان ثقة بالله وثباتاً فيه، فالنقيض للخطيئة ليس الفضيلة، وإنما الإيمان»** (هبين، 2011، ص62).

وتعبير الشوكة في الجسد الذي يستخدمه كيركجارد في مواضع كثيرة من كتبه، يشير إلى حالة المعاناة الداخلية التي يعيشها المفكر الوجودي الذي يعاني القلق المتواصل مما ستؤول إليه الخطيئة التي شارك فيها أباه آدم، وكانت سبباً في سقوطه على هذه الأرض، ولذلك سيبقى القلق حالة أصيلة ترافق الذات الإنسانية في سعيها للحضور أمام الله بوصفها مذنبة من جهة، ولكن بوصفها قادرة على أن تتمثل فعل الإيمان بكل ما فيه من دلالات وحضور.

2 القلق بوصفه مقدمة للإيمان:

فالقلق إذاً يتطور وينمو مفهومه وتتغير معانيه بتغير المرتبة الوجودية التي يعبرها، فما يكون في المرحلة الجمالية قريباً من الخوف أو اليأس أو النفور، نراه مثلا في المرتبة الدينية يحتل مكانة عالية من جهة المعاني التي يكون مثقلاً بها، بل هو يفصح عن نفسه . أي القلق . بشكل عميق في تلك المرحلة الدينية التي تتلازم فيها الروح بحضورها مع ما يسمى الحرية التي تفصح عن حالها فقط عند الإنسان دون الحيوان، ولذلك فالقلق **<<هو قلق الروح، ومن ثم فإذا ما قل وجود الروح قل وجود القلق، وإذا غاب وجود الروح «أي الحرية» انعدم وجود القلق كما هو الحال في الحيوانات، وهذا يعني أن هناك درجات من القلق ترتبط بدرجات الوجود>>** (عبد الفتاح، 1986، ص345).

فلفظة القلق تؤدي معان مختلفة ومتغايرة بما يتوافق مع تطور المرحلة الوجودية التي ترمز للأشياء في إطارها. والقلق الذي يحلله كيركجارد ويتحدث عنه بوصفه يعبر المراحل الحياتية جميعها بدءً بالجمالي مروراً بالأخلاقي، وتالياً إلى المرحلة الدينية بكافة أبعادها، إن هذا القلق لا يمكن أن يفهم جيداً وعميقاً إلا بوصفه يؤسّس **<< في البعد الزماني تجاه الذات، يؤسس وعيّاً بتاريخية وجود يكمل بين آفاق يحددها المستقبل والماضي، والفرد الذي أصبح واعياً لذاته بهذه الطريقة، يعاود امتلاك ذاته كما لو أن مهمة فرضت عليه، على أنها مهمة قد أصبحت ملكه، لأنه اختارها>>** (هابرماس، 2006، ص14).

وهو ما يظهر لنا بوضوح عندما نجد كيركجارد يتحدث عن القلق الذي يعيّن ذاته من خلال مراحل تاريخية ثلاثة تتصل بجملتها بقضايا اللاهوت، وما يحيط بها من مسائل تتصل بالأديان على اختلافها بحيث ترتبط كل مرحلة من التاريخ بحالة قلق معينة تتقابل مع دائرة من دوائر الحياة الثلاث: ومن هنا فإن هناك ثلاثة ضروب من القلق الذي يظهر في الحضارة.

1ـ قلق الوثنية: وهي التي يرى فيها كيركجارد مرحلة غارقة في القلق، لأن السمة الغالبة عليها هي الحسية، لكن هذه الحسية ترتبط بالروح التي تظهر وكأنها في حالة نعاس، بل لنقل إنها في حالة «الإمكان»، والإمكان هنا هو القلق الذي يظهر عندما تغيب الروح>> (عبد الفتاح، 1986، ص356).

2. قلق اليهودية: فاليهودية عند كيركجارد تقابل المرحلة الأخلاقية في مراحل الوجود لأن اليهودية هي وجهة نظر «الناموس» لهذا السبب نجد اليهودية غارقة في القلب من خلال الشعور بالخطيئة. «**قلق الإثم، ارتباط القلق بالإثم>>** (كيركجورد رائد الوجودية، ج2، ص357).

3ـ وأخيراً قلق المسيحية: والذي يناظر المرحلة الدينية في مراحل الوجود وله ثلاثة أنواع طبقاً لعلاقة الفرد بالخطيئة: وفي هذه المرحلة الأخيرة التي تعني أكثر بكثير مما تعنيه المراحل السابقة التي تتجلى فيها الحضارات الإنسانية التي هي أقل حضوراً ومكانة في التاريخ بالنسبة لكيركجارد من المسيحية التي يؤمن بها حتى لو لم يكن قادراً على أن يتمثلها كمؤمن حقيقي. وفي هذا الصدد يتحدث عن أنواع من القلق الذي تنقسم له علاقة الفرد بالخطيئة في هذه المرحلة التي أسماها قلق اليهودية وهي: **<< قلق شيطاني «قلق أمام الخير» قلق العبقرية المباشرة، قلق المؤمن أو قلق العبقرية الدينية، التي تؤمن بغفران الخطايا>>** (كيركجورد رائد الوجودية، ج2، ص395).

مما سبق نستنتج أن القلق يتشابه مع اليأس من حيث أن كل منهما يرافق الإنسان في جميع سنوات عمره، ومن هنا تأتي الخاصية الأولى للقلق التي تتحدد في أنه: **<< انطولوجي، فهو لا يمكن أن يشتق من شيء آخر، بل هو يعبر عن نسيج الوجود الإنساني نفسه، ولهذا كان مثل اليأس كلياً وشاملاً: أي يوجد عند كل موجود بشري. ولا يمكن أن يفلت منه إنسان، حاضر بصفة مستمرة >>** (كيركجورد رائد الوجودية، ج2، ص341).

فالنفس الإنسانية لا تكون كاملة في أي لحظة من حياتها، وإنما في حالة تحول وصيرورة دائمين، أي أنها تبقى في حالة إمكان أو استعداد، بمعنى آخر تنتقل عبر الوثبة إلى مرحلة جديدة تحقق فيها كمالها في أعلى درجاته، وهو مالا يتسنى لها أن تفعله إلا عندما تجد نفسها في قلب المرحلة الدينية التي يكون فيها الفرد قريبا من الله من غير أن يعني ذلك اختفاء قلقه وتلاشيه، بل على العكس تصبح حالة القلق هنا متأصلة في داخل الذات، ولكنها تضحى حالة منتجة بالمعنى الايماني نظرا لأنها تصبح حاضرة بوصفها تدرك الوجود في عبثيته ومفارقاته، لا بل تعرف عند ذلك أنه من الضروري أن تقبل هذه العبثية باعتبارها مدخلا أساسيا للاقتراب من الله، وهنا يتجلى مفهوم الجدل الكيفي بطريقة عميقة لأن هناك موالفة دائمة بين حالتين، لا أحد منا يعرف كيف سيكون الشكل النهائي لجدلهما أو للصراع بينهما، ولكن ما يمكن معرفته أو تخمينه على الأقل هو أن ثمة وضع جديد سيكون حاضراً في كل حين، ولذلك فإن النفس هي نفس صائرة في كل لحظة. وقد عبر عن ذلك كيركجارد عندما تحدث عن المسيحية فقال **<< لسنا مسيحيين ولكننا نصير مسيحيين>>**(كيركجارد، 1984، ص45).

أي أن اليأس هو بهذا السياق نتيجة لازمة عن فشل الذات الإنسانية في علاقاتها الوجودية في جميع مراحل الوجود التي تتفاضل مكانته عند كيركجارد كلما ارتقت باتجاه معارج المرحلة الدينية. فاليأس ليس حالة سلبية تشطر الذات وتسلبها ذاتها بالنسبة لكيركجارد، وإنما هو حالة تفضي بصاحبها إلى أن يختار، وهذا الخيار هو وحده الذي يحقق حريته على خير وجه، ناهيك عن أنه . أي الاختيار . يمكنه ولاسيما في المرحلة الدينية من أن يختار ذاته بكل رضى وطواعية. وهو ببساطة لا يملك إلا أن يفعل ذلك لأنه يكون واقعاً في مدار فعل الإيمان. ومن هنا فإن «إما//أو» لا تدل عند كيركجارد **<<على الاختيار الإنساني بين الخير والشر بل إنما تدل على طريقة الاختيار، تدل على فعل الاختيار. فالحرية ليست إمكانية اختيار بين الخير والشر فمثل هذا التصور يدل على نقص الفطنة، إن الحرية هي**

الإمكانية في الاختيار، لا اختيار حقاً بين الخير والشر، فالاختيار الأصلي حاضر باستمرار في كل اختيار تال>> (يوسف، 2001، ص97).

ولذلك فالقلق حالة وجودية لا يتقبلها إلا ذوي الإرادات القوية الذين يعرفون أن القلق حالة مستمرة باستمرار الوجود، وبالتالي لا مبرر للخوف من حضورها في كل لحظة نجد أنفسنا مضطرين لتقديم إجابات على الأسئلة المصيرية الكبرى التي تواجهنا، ولربما كنا بمنحاة من القلق فيما لو انقطعنا عن معانقة الوجود والتفكير فيه والارتماء أحضانه.

وعليه فالقلق الذي يظهر في السياق الأخلاقي، كما يرى كيركجارد، عندما كان النبي إبراهيم يريد أن يذبح ابنه اسحق، كان يرتبط بالتعبير الأخلاقي، الذي يقول بصراحة أن فعل القتل محرم، هنا كان القلق يأخذ المنحى القانوني الذي يرفض هذا الفعل وينهي عنه، لأن قتل النفس فعل حرام، بينما حين يتطور ذلك المفهوم . أي القلق . ويعبر عن الفعل الذي قام به إبراهيم عندما أراد أن يضحي بابنه اسحق، فقد تغير المعنى بتمامه و أصبح القلق هنا جزءاً أساسياً من تلك الحالة التي يعيشها إبراهيم في داخله دون أن يعبر عنها في قسمات وجهه، لأن من شان التعبير الذي يمكن أن يظهر على وجهه ان يخيف ابنه اسحق، وهو ما قد يجعل إبراهيم يتردد في ذلك الفعل الأمر الذي يدفع به ليغير رأيه، ولكن ذلك لم يحصل، ولن يحصل، فالقلق يحيّد جانباً. لكي يكون بمقدوره أن يقوم بفعل الذبح، الذي كانت ثقته الشديدة بالله كافية ليتجه صوب اسحق وكأنه ليس ابنه.

وكما يقول هابرماس في كتابه "مستقبل الطبيعة البشرية" **<< لا وجود للذات بطريقة صادقة إلا بنظر الله، ولا وصول لمراحل يأس محتمة إلّا حين يتخذ الإنسان صورة المؤمن الذي حين يعود إلى نفسه، فهو يعود إلى آخر مطلق يدين له بكل شيء>>** (هابرماس، 2006، ص14).

أي أن القلق حالة لا فكاك منه ما دام الإنسان يعيش في هذه الحياة، وتقلقه أسئلتها الوجودية الكبرى، ويقلقه مصيره، وحياته، وموته، وهو لا يبرح تقديم إجابات على تلك الأسئلة المقلقة، ولكنه حتى في حال تهيأ له أن يتخلص من القلق الذي يخالج نفسه فإن ذلك ليس إلا وهماً لأن القلق روح حياتنا الوجودية التي نعيش وننتظر فيها مصيرنا الذي لا يمكن أن نتنبأ به، أو بما ستؤول إليه أمورنا ما لم نضع أنفسنا عبر فعل الإيمان في حضرة الإله. **<< وهي واقعة من اليسير، على كل إنسان أن يحاكيها إن لم يكن له إيمان، فالإيمان هو الذي يجعلها عسيرة عليه>>** (كيركجارد، 2003، ص45).

أي أن الفارق بين ما يسميه كيركجارد اليأس وبين ما يطلق عليه اسم القلق، لا يكاد يستطيع الباحث ان يميزه بعمق، نظرا لتداخل حدودهما معا، وتغير دلالاتهما كلما تعين أحد هذه المفاهيم في مرحلة حياتية معينة من خلال بعض الأفعال التي تدل عليه وتميزه، ومع ذلك ينبغي علينا **<< ألاّ نخلط هنا بين مفهوم القلق Anxiety ومفهوم اليأس Despair عند كيركجارد بحكم أنّ مفهوم القلق يتشابك جوهرياً مع الحرية، أو هو بتعبير كيركجارد دوخة الحرية التي تحصل لنا، حينما تتوقدّ الروح لإيقاف التحليق وتنظر الحرية من مكانٍ عالٍ إلى إمكانيتها وهي تتمسّك بالمحدود لدعم ذاتها، أو بشرح أبسط هو ذلك الشعور الذي يختلج في باطن نفسيتك وقد وُهِبَت لك الحرية المطلقة للاختيار الذي سيحدّد في النهاية قرارك الشخصي المطلق>>** (طيرشي، 2021، ص207).

خاتمة:

في نهاية بحثنا هذا الذي يتداخل فيها اليأس مع القلق في سياق مراحل حياتية خص فيلسوفنا كل منها بمجموعة من الأفعال التي يؤديها الفرد بحيث تتطبع سماتها النفسية والفكرية بطابع تلك المراحل وخصائصها الأساسية، نجد أن مفهوم القلق هو المفهوم الأكثر شمولا واتساعا من بقية المفاهيم التي تتداخل معه، مثل التأمل واليأس، على الرغم من تعدد المعاني التي تحوزها تلك المفاهيم في مجرى تطورها عبر مراحل مختلفة لتتحول سماتها ومعانيها وتعبر عن ذاتها بطرق متنوعة. ومن هنا فقد وجدنا أن مفهوم القلق الذي يمثل المفهوم الرئيس في بحثنا يتجلى بشكل عميق في المرحلة الدينية، وهي المرحلة التي يكون فيها الفرد قد تحرر من اغترابه وتمزقه وقلقه السلبيين وأصبح بمقدوره أن يصبح نفسه بعد أن أصبح حرا وقادرا على الاختيار بين ممكنات كثيرة تحقق له حضورا وتواجدا امام الله، فيصبح إذ ذاك مسيحيا حقاً، مع أن ذلك قد لا يتسنى إلا للقديسين والأبطال الذين يملكون إرادة قوية للقيام بتلك القفزة بين المراحل والتعود على القلق الإيجابي الذي هو قلق الروح، الروح التي تساوي هنا الحرية، وبغياب الحرية يختفي القلق ويتلاشى .فالقلق يعبر عن نفسه من خلال درجات معينة ترتبط كل واحدة منها بدرجة من درجات الوجود ومراحلها.

قائمة المصادر باللغة العربية

1- سورين، كيركجارد. خوف ورعدة. ترجمة فؤاد كامل، القاهرة: دار الثقافة للتوزيع والنشر، ط1 ،1984.

2- سورين، كيرككورد. طريق الموات؛ عرض مسيحي نفسي للتنوير والبناء. ترجمة أسامة القفاش، القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2003 .

قائمة المراجع باللغة العربية

1- عبد الفتاح إمام، إمام. كيركجارد رائد الوجودية. ج1، مصر: دار الثقافة، ط1، 1986.

2- هابرماس، يورغين. مستقبل الطبيعة البشرية نحو نسالة ليبرالية، ترجمة جورج كتوره، المكتبة الشرقية، ط1، 2006.

3- هبين ويليام، سورين كيركجارد، تصوف المعرفة. ترجمة سعاد فركوح، ازمنة للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

4- ميخائيل، فوزية. تاريخ الفلسفة الحديثة، سورين كيركجارد، مطبعة الرياض، دمشق،1982.

5- يوسف، حسن. فلسفة الدين عند كيركجارد، القاهرة: مكتبة الكلمة، ط1، 2001.

المجلات

1- طيرشي، كمال. مراجعة كتاب المرض طريق الموات، عرض مسيحي نفسي، لسورن كيرككورد، مجلة تبيّن، الدوحة، العدد 35، المجلد التاسع، 2021.

References:

1. ABDEL FATTAH, I. KIERKEGAARD, S. *pioneer of existentialism*. Part 1, Egypt: House of Culture, 1st edition, 1986.
2. HABERMAS, J. *The future of human nature towards a liberal breed*, translated by George Ketoura, Eastern Library, 1st edition, 2006.
3. HEBEN, W, KIERKEGAARD, S. *the Mysticism of Knowledge. Translated by Suad Farkouh, Azna for publication and distribution*, 1st edition, 2011.
4. KIERKEGAARD, S. *Dead road A Christian psychological presentation of enlightenment and edification.* Translated by Osama Al-Qaffash, Cairo: Dar Al-Kalima Library, 2003.
5. KIERKEGAARD, S. *Fear and trembling* Translated by Fouad Kamel, Cairo: Dar Al Thaqafa for Distribution and Publishing, 1st edition, 1984.
6. MIKHAIL, F. *History of Modern Philosophy*, Soren Kierkegaard, Riyadh Press, Damascus, 1982.
7. TARSHI, K. *A review of the book "Illness is the Path of Death*", a Christian psychological review, by Soren Kirkcord, Tabeen Magazine, Doha, Issue 35, Volume IX, 2021.
8. YOUSEF, H. *Kierkegaard's Philosophy of Religion*, Cairo: Kalima Library, 1st Edition, 2001.